بسم الله الرحمن الرحيم

الإعجاز العلمي في

قول الله تعالى: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾ (العنكبوت: 41) [1].

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

فقد بينت الآية أن أوهن البيوت بيت العنكبوت، وهذا الوهن يحتمل معنيين:

المعنى الأول: أن وهن بيت العنكبوت وهن حسي، فاتخاذ المشركين أولياء من دون الله يستنصرونهم ويتعززون بهم مثلهم كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً يقيها من الحر والبرد والآفات، والعنكبوت من الحيوانات الضعيفة، وبيتها من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفاً[2]، وقد أجمع المفسرون المتقدمون على هذا المعنى، وإليه تشير عبارات السلف، قال ابن جرير رحمه الله: " مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء ؛ يرجون نَصْرها ونفعها عند حاجتهم إليها في ضعف احتيالهم، وقبح رواياتهم، وسوء اختيارهم لأنفسهم، ﴿ **كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ** ﴾ في ضعفها، وقلة احتيالها لنفسها، ﴿**اتَّخَذَتْ بَيْتًا**﴾ لنفسها، كيما يُكِنهَا، فلم يغن عنها شيئاً عند حاجتها إليه، فكذلك هؤلاء المشركون لم يغن عنهم حين نزل بهم أمر الله ..... وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل "[3]، ومما جاء عن السلف في ذلك قول قتادة (ت117): هذا مثل ضربه الله للمشرك، إنه لن يغني عنه إلهه شيئاً من ضعفه وقلة أجزائه مثل ضعف بيت العنكبوت[4].

---

(1) هذه المقالة مأخوذة من بحثي: ملامح من الاجتهاد المنضبط في فهم الخطاب القرآني، والمنشور في مجلة قرآنيكا، عدد ديسمبر 2015 م.

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبدالرحمن السعدي، تحقيق عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة ببيروت، ط 1 (ص 631).

(3) جامع البيان (18/403-404) باختصار.

(4) الدر المنثور (5/145)، وانظر جامع البيان (18/404).

المعنى الثاني: أن وهن بيت العنكبوت وهن معنوي، والمراد وهن بيت العنكبوت من الناحية الأسرية والأخلاقية، لا المادية والإنشائية .... وبالمقارنة مع عالم الحشرات يعد بيت العنكبوت من أوهن البيوت من حيث الروابط الأسرية والمبادئ الأخلاقية وسيادة الخيانة والغدر والقسوة ؛ فالأنثى تقتل الذكر بعد تلقيحها وتأكله، وتأكل أبناءها بعد خروجهم من البيض كما يأكل الاخوة بعضهم البعض، وضُرب المثل بها فيمن اتخذ من دون الله آلهة لانقطاع الروابط والصلات بينهم وبين من يعبدونهم من دون الله تعالى[1].

ونحن أمام هذين المعنيين بين أمرين:

الأول: اثبات المعنى الأول، وهو الوهن الحسي، لأنه ظاهر الآية، ولأن الواقع يشهد له، فنسج بيت العنكبوت لوهنه وضعفه لا يصمد ولا يثبت لأضعف تحريك فيسقط ويتمزق[2]، وهل يماري أحد أن نسج العنكبوت هذا يتداعى عند أدنى لمسة أو أضعف نفخة ؟ !!، وهذا المعنى هو الذي أدركه المفسرون قاطبة، وقالوا به فلا تجوز تخطئتهم فيه، ومع اثبات هذا الوجه فهناك وجه آخر خفي لوهن بيت العنكبوت لم يشر إليه المتقدمون ودل عليه العلم التجريبي القائم على النظر والملاحظة الدقيقة، وهو المذكور في المعنى الثاني، وعلى القول بصحة هذا المعنى فإنه لا يلزم منه رد المعنى الأول ولا نفيه، بل إنه صحيح، لكن هناك وجه آخر للوهن، وهذا الاجتهاد بهذه الصورة مع احترامه أقوال المفسرين وإجماعهم يمكن قبوله ؛ إذ لا يلزم من القول به رد المعنى الأول الخفي الذي دل عليه العلم التجريبي، وإمعان النظر وطول التأمل، والمعنى الأول أظهر وأوضح.

الثاني: إثبات المعنى الثاني، وهو الوهن المعنوي، ونفي الوهن الحسي، وقد صرح بعض المناصرين للمعنى الثاني بهذا، فقال بعضهم: " إني أرى ـ والله أعلم ـ أنه من **غير الراجح** أن المقصود ببيت العنكبوت الذي وصفه القرآن بأنه أوهن البيوت هو شبكة العنكبوت التي

---

(1) ينظر في ذلك: القرآن محاولة لفهم عصري، د. مصطفى محمود (ص)، وحقيقة أوهن البيوت، مقال فهد الأحمدي في جريدة الرياض، الخميس 1433/9/7، عدد (16103)، وتأملات في تفسير معنى قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾، مقال في مجلة الإعجاز العلمي، العدد السابع عشر، بقلم د. صلاح رشيد.

(2) التحرير والتنوير (252/20).

يتخذها سكناً ومصيدة لفرائسه، بل لعل المقصود ببيت العنكبوت ـ والله أعلم ـ أسرة العنكبوت التي هي بحق أَوْهَى الأسر ترابطاً وتآلفاً "[1].

وقال آخر: " يعتقد معظمنا **خطأ** أن شبكة العنكبوت هي بيت العنكبوت الذي يعيش ويستقر فيه "، وزاد ذلك إيضاحاً بأن " الخيوط الحريرية التي يفرزها العنكبوت، والتي يبني منها بيته الحسي لو جمعت في سماكة الأصبع لاستطاعت حمل طائرة ضخمة بكامل ركابها "[2].

وقد سلك من يتبنى هذا الرأي منهجاً خاطئاً في تفسير القرآن حيث رد ما أجمع عليه المفسرون، مدعياً أن فهمهم للآية خطأ، وهذا يقتضي تضليلهم وأنهم جهلوا الحق وأجمعوا على ضلالة، ثم إن زعمه بأن الخيوط الحريرية التي يفرزها العنكبوت، والتي يبني منها بيته الحسي لو جمعت في سماكة الإصبع[3] لاستطاعت حمل طائرة ضخمة بكامل ركابها غير سليم، فإن هذا ينطبق على كل شيء ضعيف إذا جمع مع غيره فإنه يزداد قوة، وكم سيكون عدد خيوط العنكبوت حين تجمع في سماكة الإصبع ؟!، لا ريب أنه عدد كبير جداً، وهذا يذكر بقول الشاعر:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرا وإذا افترقن تكسرت أحادا

ولا ينقضي العجب من بعض هؤلاء حين ظنوا أنه لا يمكن إثبات التفسير العلمي لوهن بيت العنكبوت إلا برد المعنى الذي تواطأت الأمة على فهمه من لدن الصحابة إلى وقتنا، وإمعاناً في رده أسهبوا في بيان مزايا البيت الظاهري للعنكبوت ومهارتها في بنائه ونسج خيوطه ..... وهي وإن فعلت ذلك وخَدَعنا مظهرُه، فسيبقى أوهن البيوت وأضعفها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً، ولو أنهم وقفوا عند بيان الوهن الداخلي والمعنوي لبيت العنكبوت لكان الخطب أسهل.

---

(1) تأملات في تفسير معنى قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ** ﴾.

(2) مقال حقيقة أوهن البيوت.

(3) يذكر أصحاب التفسير العلمي أن أربعة آلاف خيط من خيوط العنكبوت تساوي سماكة شعرة واحدة من شعر الإنسان !!.

وهناك رأي ثالث ذهب إليه بعض الباحثين وهو رد الوهن المعنوي لبيت العنكبوت بحجة أنه معنى خفي، والمتبادر إلى الذهن في بيت العنكبوت هو نسجه، وهذا ما سار عليه المفسرون من الصحابة ومن بعدهم إلى يومنا هذا[1].

ومع قوة هذا القول وصحته في إثبات الوهن الحسي إلا أني لستُ معه في رد المعنى الثاني مطلقاً ما دام أن لفظ البيت يحتمله، فإن البيت في اللغة يطلق ويراد به ساكنوه، فيقال: بيت آل فلان، والمراد من يسكنه، قال تعالى: ﴿ **فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴾ (الذرايات:36)، والآية فيها إضمار ؛ أي: فما وجدنا فيها غير أهل بيت[2] ؛ يوضحه أن البيت من حيث هو لا يوصف بكفر أو إسلام، وإنما الوصف لساكنيه، وفي الحديث: " **ألا أخبركم بخير دور الأنصار ؟، قالوا: بلى، قال: دور بني النجار، ثم دور بني عبد الأشهل، ثم دور بني ساعدة، أو دور بني الحارث بن الخزرج، وفي كل دور الأنصار خير** "[3]، قال ابن حجر: قوله: " **خير دور الأنصار دار بني النجار** "، أي: محلتهم والمراد أهلها[4].

يضاف إلى ذلك أن القول باحتمالية الآية للوهن المعنوي يزيد في معناها، فيدل على ضعف آلهة المشركين ظاهراً وباطناً، وأنها لا تغني عن عابديها شيئاً فلا تجلب لهم نفعاً، ولا تدفع عنهم ضراً، لا ظاهراً ولا باطناً، وهي تدل على انقطاع الصلات والوشائج بينهم، والله تعالى أعلم.

وكتبه

أ.د. عبدالسلام بن صالح الجارالله

---

(1) ينظر: نقد التفسير العلمي، د. أحمد الفاضل، نشر مركز الناقد الثقافي بدمشق (ص29)، ورد لطيف على الصحفي فهد الأحمدي في فهم (أوهن البيوت)، د. مساعد الطيار، منشور في موقع الدكتور.

(2) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، نشر دار الشعب بالقاهرة (6218/7)

(3) صحيح البخاري (132/2) برقم (1481).

(4) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر، تحقيق محب الدين الخطيب، الطبعة السلفية بالقاهرة (521/1).